محمود اسماعيل نصيف ، لماذا هو غير ممكن اللقاء مع اليسار في اسرائيل ؟
(النجف الاشرف : مطبعة العربي الحديثة ، بمساعدة نقابة المعلمين العراقية ، ١٩٧١)

ما يقودنا الى مراجعة هذا الكتيب الصغير (١٠٠ صفحة من الحجم الصغير باحرف متوسطة) ليس بالضرورة اهمية الاراء التي اوردها بل اهمية المسألة التي طرحها وحاول معالجتها . فمنذ تعالي كفاح المقاومة الفلسطينية خلال العقد الماضي، وخاصة بعد اطلاق شعار الدولة الديموقراطية في المستقبل ، أصبح موضوع امكانيات التلاقي بين مجموعتي السكان الذين سيشكلون مواطني الدولة الفلسطينية الديموقراطية في المستقبل (اي المستوطنين اليهود بما في ذلك المهاجرين من اليهود العرب والسكان الاصليين من عرب فلسطين) مسألة مطروحة في مجال البحث خاصة وان عليها يعتمد الى حد بعيد مستقبل الكفاح العربي ضد الصهيونية . ومجرد رفع هذا الشعار (هذا ان لم يكن على سبيل الدعاية فقط وهو امر مرفوض) يفترض امكانية قيام التقاء بين الجماهير الفلسطينية والجماهير اليهودية ان آجلا او عاجلا خلال تطور الكفاح الطويل . والواقع فسان لم تكن امكانية الالتقاء قائمة على اسس في المصلحة المشتركة طويلة الامد ، فان المسألة تعود بنا الى ما كانت عليه في السابق — اي صراع مرير بين جموع اليهود والعرب تنتهي بالتصفية الجسدية او الازاحة الميكانية لاحد الطرفين او الاخر . وتصريحات معظم اطراف المقاومة الفلسطينية وتحليلاتهم ومنطلقات نواة اليسار الاسرائيلي تنم عن القبول بافتراض وجود هذه المصلحة المشتركة طويلة الامد مما يفسر اعادة طرح مسألة التحرير على هذه الاسس . الا ان دراسة لواقع المجتمع الاسرائيلي ببنياته الطبقية ومصالحها مثل الدراسة الماثلة للشعب الفلسطيني بالنظر الى هذه المسألة ، غير متوفرة رغم كثرة الكتابات السطحية حولها والتي لم تتمكن ، بطبيعة اهتماماتها بتفاصيل التركيبات السياسية الانية ، من حسمها . والواقع ان هذه حالة الكتيب الذي نحن بصدده ، اذ لم يعالج فيه المؤلف اطلاقا الاصول الطبقية والمجتمعية التي يمكن ان تقوم عليها اسس الالتقاء بل اكتفى بطرح امكانيات الالتقاء مع المنظمات اليسارية كما هي قائمة في اسرائيل الان . وبرغم مما اوصله ذلك الى استنتاجات سطحية ، فلم يخل الكتيب من بعض الامور التي يجدر النظر فيها ان لشيء فلملاقاة الحوار الذي يدعو اليه حول المسألة في مقدمة الكتيب ولابداء بعض الملاحظات حولها .

لا بد من الاشارة هنا الى ان المؤلف لم يوضح بأي شكل من الاشكال ما عناة بكلمة « اللقاء » فجاء بحثه بمثابة نقد (ذاتي الطابع في بعض الاحيان) لما اعتبره اليسار الاسرائيلي، اكثر مما كان معالجة لامكانية اللقاء معه او مع عناصر مجموعة او فردية منه او ، واهم من ذلك ، مع التحركات المجتمعية التي قد يمثل انعكاسها . ولكن عرضه لليسار الصهيوني يشير الى اضطلاع بالموضوع وذلك على ما يبدو من ايراده للمصادر والكتابات المعنية .

قسم المؤلف اليسار الاسرائيلي الى قسمين : (١) **اليسار الصهيوني** بما في ذلك احزاب مباي وراقي واحدوت هعفودا ومابام والتي اعتبرها كتلة واحدة نظرا لانعدام الفروق الاساسية فيما بينها واضاف اليها فئات اليسار الصهيوني الجديد مثل فئة ماكي المنشقة عن الحزب الشيوعي وجماعة اوري افنيري . (٢) **واليسار غير الصهيوني** الذي الذي يتشكل برأيه من فئة ترفض الصهيونية واسرائيل ايديولوجيا وتتمسك بها جغرافيا وتتمثل بالحزب الشيوعي ، راكح ، وفئة اخرى تناهض الصهيونية واسرائيل ايديولوجيا وجغرافيا وتتمثل في المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ، ماتسبن . وراح المؤلف يعالج منطلقات هذه الفئات الواحدة تلو الاخرى ومواقفها العملية ليستخلص ما اذا كانت هناك امكانية للقاء معها .

من الملاحظ والمستغرب ان معالجة المؤلف في القسم الاول من الكتيب لاحزاب اليسار الصهيوني — وهي الاحزاب الحاكمة والتي لا تعترف اي من الفئات العربية التقدمية بيساريتها ولا يفكر احد من قريب او بعيد باللقاء معها كما يدرك المؤلف ويقول لنا — قد شغلت القسم الاكبر من البحث . ويعلل المؤلف معالجته هذه لليسار الصهيوني في مجال بحثه في امكانية اللقاء بالقول : « ان بحث هذا اليسار ضروري جدا لعاملين اساسيين هما العلاقة الجدلية القائمة بين هذا « اليسار » واليسار غير الصهيوني ... وبالتالي نظرا لسيطرة خرافة اسرائيل الاشتراكية التقدمية ... » . وقام المؤلف فعلا بتفنيد الادعاءات القائلة باشتراكية اسرائيل